



جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الماجستير في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : المقاطعة وحصار قريش لبني هاشم ومن مهم.

استاذ المادة : أ.م.د . حسين اعيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقاطعة وحصار قريش لبني هاشم ومن معهم .

يبدو أن بؤادر المقاطعة بدأت منذ أن حاور مشركو قريش أبا طالب في شأن النبي ﷺ ، فذكر ابن هشام ذلك الحوار فقال ((ثم إنهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإننا قد استنهييناك ابن أخيك فلم تنتهه عنا ، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننزله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين ... فقال : اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً))⁽¹⁾ ، على أثر ذلك كتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يخالطوهم ، وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري ، فشلت يده ، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة⁽²⁾ ، ويبدو ان بني هاشم دخلوا في الشعب منذ ذلك الوقت على رأي الملاح الى بداية المقاطعة الفعلية بقوله ((وبذلك تكون الفترة من شهر رجب لسنة خمس للبعثة وحتى محرم من سنة سبع للبعثة هي بمثابة اعتزال من قبل بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب من أجل حماية رسول الله ﷺ بمحض اختيارهم))⁽³⁾ ، وهذا النص يخالف قوله السابق الذكر من ان رسول الله دخل في دار الأرقم بعد إعلان الدعوة ولم يخرج منها الى شهر ذي الحجة من السنة السادسة للبعثة⁽⁴⁾ .

بين المؤرخون عدة أسباب دفعت قريشاً الى اتخاذ الصحيفة وإعلان المقاطعة وحصار بني هاشم في شعب أبي طالب ، فعندما عرفت قريش أنه لا سبيل الى محمد ﷺ ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ، فخرج أبو لهب عدو الله ، يظهر عليه قريش ، وقال : قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ، فأنزل الله عز وجل (سورة المسد)⁽⁵⁾ ، وهذا القول يجعل نزول سورة (المسد) عند السنة السادسة للبعثة أو في بدء السنة السابعة ، وقد تقدم ان مفارقة إبن أبي لهب لبنتي رسول الله ﷺ رقية وأم

(1) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج 1 ص 302-303 .

(2) ابن اسحاق ، المصدر السابق ، ج 3 ص 156 ؛ ابن هشام ، المصدر السابق ، ج 1 ص 388 ؛ ابن سعد ، المصدر السابق ، ج 1 ص 208-209 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 2 ص 9 .

(3) الوسيط في السيرة النبوية ، ص 204 .

(4) الملاح ، المرجع السابق ، ص 172 .

(5) ابن اسحاق ، المصدر السابق ، ج 3 ص 156 .

كلثوم رضي الله عنهما حصلتا بعد نزول سورة (المسد) ، وان المقاطعة حصلت بعد ان هاجر عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي ﷺ الى الحبشة ، لذلك قد يكون جزء من النص غير دقيق .

أما ابن خلدون فإنه يرى لذلك سبب آخر: ((لما رأت قريش فشوّ الإسلام وظهوره أهمهم ذلك فاجتمعوا وتعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب))⁽¹⁾ ، وذهب آخرون الى أن سبب المقاطعة هو فشل قريش في استعادة المسلمين المهاجرين الى الحبشة⁽²⁾ ، لكن محاولة استعادة المهاجرين الى الحبشة كانت بعد هجرة الحبشة الأولى في رجب سنة خمس من البعثة والمقاطعة بدأت في المحرم سنة سبع من النبوة⁽³⁾ . فعليه يكون بين الحدثين فارق زمني ليس باليسير ، يساوي سنة وخمسة أشهر ، وبذلك يكون الحصار قد وقع بعد هجرة الحبشة الثانية في السنة السادسة للبعثة .

وقد ذكر زمن دخول بني هاشم ومن معهم في الشعب على قول في السنة السادسة من البعثة⁽⁴⁾ ، وفي قول آخر كان عند هلال المحرم سنة سبع من البعثة⁽⁵⁾ ، وكان سنه عليه عليه السلام ستة وأربعين سنة⁽⁶⁾ ، ويوافق لسنة ستمائة وستة عشر للميلاد⁽⁷⁾ .

وروي في مدة مكثهم في شعب أبي طالب أنهم أقاموا فيه سنتين أو ثلاث⁽⁸⁾ ، وجزم وجزم أغلب المؤرخين انها دامت ثلاث سنين⁽¹⁾ ، وان خروجهم كان عند سن الخمسين لرسول الله ﷺ .

(1) ابن خلدون ، المصدر السابق ، م 2 ج 2 ص 9 .
(2) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج 1 ص 388 ؛ ابن سيد الناس ، المصدر السابق ، ج 1 ص 222 ؛ العمري ، المصدر السابق ، ج 1 ص 182 .
(3) ابن سيد الناس ، المصدر السابق ، ج 1 ص 225 ؛ البوطي ، المصدر السابق ، ص 86 ؛ المباركفوري ، المصدر السابق ، ص 110 .
(4) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج 2 ص 21 .
(5) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج 1 ص 208-209 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 2 ص 584-585 ؛ ابن القيم ، زاد المعاد ، ج 2 ص 44 ؛ الحلبي ، المصدر السابق ، ج 1 ص 476 .
(6) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 2 ص 287 ؛ الحلبي ، المصدر السابق ، ج 1 ص 476 .
(7) كونستانس ، نظرة جديدة في سيرة رسول الله ، ص 127 . وفي التقويم يوافق لسنة 615 م ينظر : جدول رقم (47) ملحق رقم (1) .
(8) ابن اسحاق ، المصدر السابق ، ج 3 ص 160-161 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 2 ص 335-336 ؛ ابن سيد الناس ، المصدر السابق ، ج 1 ص 225 .

ولم يكن الحصار المفروض على بني هاشم وبني المطلب حصاراً محكماً بالمعنى الدقيق ، بل كان لهم خروج من الشعب عند كل موسم ، وجرت محاولات لكسر الحصار عنهم ، ويمكن تسميته قطع العلاقات التجارية والاجتماعية وغيرها من طرف واحد وهو مشركو قريش ، وقد وردت روايات تدل على ذلك ، فقد ذكر ابن سعد عن خروجهم في المواسم ((فكانوا لا يخرجون إلا من موسم الى موسم ، حتى بلغهم الجهد))⁽²⁾ ، وذكر ان أبا جهل بن هشام ((لقي حكيم بن حزام بن خويلد معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله ﷺ ومعه في الشعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام الى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو البختري فقال له مالك وله))⁽³⁾ .

وكان هشام بن عمرو⁽⁴⁾ يصل بني هاشم حسب ما ذكر ابن هشام ((فكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه فكان يأتي بالبعير وبني هاشم وبني المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً ، حتى إذا اقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضربه على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بزاً فيفعل به مثل ذلك))⁽⁵⁾ ، ومع ذلك فإنه لا يمكن ان نتصور ان الحصار كان هيناً بل كان في غاية الشدة ، فذكر ابن اسحاق أنه ((بلغ القوم الجهد الشديد وحتى استمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب))⁽⁶⁾ ، وأضاف ابن هشام الى ذلك قائلاً : ((فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاث حتى جُهدوا لا يصل اليهم شيء الا سراً متخفياً به ، من أراد صلتهم من قريش))⁽⁷⁾ ، من أجل

(1) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج1 ص209 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج2 ص287 ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج1 ص69 ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ص9 .

(2) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج1 ص209 .

(3) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج1 ص391 . وأبو البختري بن هاشم أحد الأربعة الذين أنهبوا حصار قريش لبني هاشم ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص210 .

(4) هشام بن عمرو بن ربيعة : قرشي من الذين نقضوا صحيفة قريش ، ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج1 ص199 .

(5) ابن هشام ، المصدر السابق ، ج1 ص412 .

(6) السير والمغازي ، ج3 ص159 .

(7) السيرة النبوية ، ج1 ص391 ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ص76 .

ذلك بادر رسول الله ﷺ وأهل بيته لتخفيف ذلك عن المسلمين ((فأنفق رسول الله ﷺ ماله ، وأنفق أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة بنت خويلد ماله))⁽¹⁾ .

يرى بعض المؤرخين أن سنة نهاية الحصار على بني هاشم ومن معهم كانت العاشرة من البعثة⁽²⁾ ، ولما كان دخولهم الشعب في المحرم سنة سبع وخروجهم في السنة العاشرة للمبعث فهذا يعني أنهم أتموا ثلاث سنوات كاملة وازدادوا أشهراً على ذلك ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن القيم ((وخروج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من المبعث ، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر وماتت خديجة بعده))⁽³⁾ وقد ثبت سابقاً أن موت أبي طالب وخديجة بعد رمضان سنة عشر للمبعث وحدد البلاذري تاريخ وفاة أبي طالب بشهر ذي القعدة من السنة العاشرة للبعثة⁽⁴⁾ ، وعليه يكونون قد أتموا ثلاث سنوات وثلاثة أشهر في الحصار ، أي كان خروجهم في شهر ربيع الأول من السنة العاشرة من البعثة ، وذهب المسعودي الى غير ذلك حين ذكر ((وتوفي عمه أبو طالب ... في السنة العاشرة من مبعثه ... وذلك بعد إبطال الصحيفة وخروج بني هاشم من الحصار في الشعب بسنة وستة أشهر ، وكان مدة مقامهم في الحصار ثلاث سنين ، وقيل سنتين ونصف ، وقيل سنتين))⁽⁵⁾ ، وقول المسعودي فيه عدة احتمالات فانه جعل الخروج من الشعب قبل الوفاة بسنة ونصف ولما كانت الوفاة ثابتة في رمضان سنة عشر من البعثة ، فعليه يكون خروجهم في ربيع الأول سنة تسع ، وذلك يستوجب أن أول الحصار يكون في ربيع الأول سنة ست إذا دام ثلاث سنوات ، أو في رمضان سنة ست إذا دام سنتان ونصف ، أو في ربيع الأول سنة سبع إذا دام الحصار سنتين ، لذلك قال ابن القيم : ((خرج من الحصار وله تسع وأربعون سنة ، وقيل ثمان وأربعون سنة))⁽⁶⁾ ، وأضاف العمري استناداً الى الزهري ((أن عمر رسول الله ﷺ ، كان حين خرج من الشعب تسعاً وأربعين سنة ، وكان خروجهم

(1) (اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2 ص21 .

(2) (ابن سعد ، المصدر السابق ، ج1 ص210 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج2 ص585 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ص81 ؛ العمري ، المصدر السابق ، ج1 ص44 ؛ أمين دويدار ، صور من حياة الرسول ، ص186 .

(3) (أ) زاد المعاد ، ج2 ص44 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ص81 ؛ المبارك فوري ، الرحيق المختوم ، ص111 .

(4) (أنساب الأشراف ، ج1 ص273 .

(5) (المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص200 .

(6) (ابن القيم ، زاد المعاد ، ج1 ص23 .

في السنة العاشرة وعلى ذلك يكون حصار الشعب قد بدأ في آخر العام السابع من المبعث ((⁽¹⁾ ، وفي قول كان خروجهم في المحرم سنة عشر للبعثة⁽²⁾، والراجح ان دخولهم في الشعب كان في بداية سنة سبع للبعثة وخروجهم منه كان في بداية سنة عشر للبعثة.

(¹) السيرة النبوية الصحيحة ، ج 1 ص 182-183 .
(²) المباركفوري ، المصدر السابق ، ص 111 .